BALAGH
Journal of Islamic and Humanities Studies
Vol 2 / No. Special – Jun 1443 / 2022
ISSN: 2791-6561
Received: 28.05.2022 | Accepted: 24.06.2022 | DOI: 10.5281/zenodo.6757486 0000-0003-2913-5286

القلقلة بين المكي والمدني: دراسة إحصائية تحليلية

Qalqalah Between Makki And Madani An Analytical Statistical Study

أحمد طه رضوان *

Ahmed Taha Wahba Radwan

ملخص البحث: يقوم البحث بمناقشة فرضية طرحها بعض الباحثين، حول صلاحية (القلقلة) للتمييز بين المكي والمدني في القرآن الكريم. وذلك عن طريق إحصاء مواضع القلقلة في القرآن الكريم كاملا، ومن ثم تحليلها. فالمنهج على هذا إحصائي تحليلي. وقد خرج البحث بنتيجة مفادها أن (القلقلة) لا تصلح كعنصر مميز بين المكي المدني في القرآن الكريم. وأوصى الباحث بأهمية دراسة الأثر البلاغي للقلقلة في كل سورة في القرآن الكريم على حدة.

الكلمات المفتاحية: القلقلة – التجويد – المكي والمدني

Abstract: The research discusses a hypothesis put forward by some researchers, about the validity of (Qalqalah) to distinguish between the Makki and the Madani of the Holy Quran. And that is by counting the positions of Qalqalah in the whole Quran, and then analyzing it. The curriculum is based on this analytical statistic. The research came with the conclusion that (Qalqalah) is not suitable as a distinctive element between the Madani and the Makki in the Holy Quran. The researcher recommended the importance of studying the rhetorical effect of the Qalqalah in each surah in the Holy Quran separately.

Key words: Qalqlah - Tajweed - Makki and Madani.

* أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية، كلية العلوم الإسلامية، جامعة كارابوك. ahmedradwan@karabuk.edu.tr
orcid.org/0000-0003-2913-5286

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

فمن المباحث المتصلة بعلوم القرآن الكريم ما يتعلق بالمكي والمدني من آياته، وقد اهتم به المصنفون به؛ لما له من أهمية في معرفة السابق بالنزول ومن ثم الوقوف على مواطن الناسخ والمنسوخ، وأهميته لا تخفى في الأحكام الفقهية، ومعرفة تاريخ التشريع في الإسلام [١].

ولكل من القرآن المكي والمدني علامات وخصائص، بعضها مطّرد وبعضها غير مطّرد، وإنما يصلح للاستئناس، وهي مفصلة في مظانها من كتب علوم القرآن [٢].

والسؤال الذي يحاول هذا البحث الإجابة عنه: هل كان للقلقلة دور أو شكل ما في القرآن المكي يختلف عنه في القرآن المدني ؟ وهل نستطيع من خلال القلقلة أن نجزم بمكية سورة أو آية أو مدنيتها؟

وللإجابة عن هذا السؤال، قمت بتصنيف مواضع القلقلة في القرآن الكريم وفق المكي والمدني من الآيات الكريمة، وذلك اعتمادًا على الكتابة الصوتية والمقطعية للقرآن الكريم، والتي وفقني الله عز وجل لإتمامها، وراجعها أستاذنا الدكتور محمود نحلة. ثم قمت بتحليل الإحصاءات التي خرجت بها الخاصة بالقلقلة. وحاولت تفسير اختلاف كثافة القلقلة بين الآيات.

وأسأل الله عز وجل أن يكون عملا نافعًا متقبلاً، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

أ.د. أحمد طه رضوان

(١) انظر: الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق مكتب البحوث والدراسات (بيروت، دار الفكر، ط١، ١٩٩٦م) ١٣٧/١

(٢) انظر: الزركشي، محمد بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت، دار المعرفة، ١٣٩١هـ)١٨٧/١ وما بعدها، والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق مركز الدراسات القرآنية (المدينة المنورة، مجمع الملك فهد، ط١، ١٤٢٦هـ)٤٥/١ وما بعدها، الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن ١٣٨/١ وما بعدها.

تمهيد:

من المعروف أن القرآن الكريم تنزّل على نبينا محمد ﷺ منجّمًا على مدى ثلاثة وعشرين عاما، ثلاثة عشر في مكة وعشرة في المدينة المنورة، ومن المتفق عليه أن لكل من القرآن المكي والمدني خصائص تميزه، ومع ذلك فلم يتفق العلماء في نسبة جميع السور والآيات إلى المكي أو المدني، نتيجة اختلافهم في المقياس الضابط لهذا التقسيم، فمنهم من ذهب إلى اعتماد الضابط الزمني، فيكون المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها – وهو الأشهر – ومنهم من ذهب إلى الضابط المكاني، فما نزل في مكة وما حولها مكي وإن نزل بعد الهجرة، والمدني مثل ذلك، ومنهم من ذهب إلى مراعاة جانب المخاطبين. كما ذكروا بعض ما يميز كل من المكي والمدني من موضوعات وأساليب، ولكن أكثرها يصلح للاستشهاد وغير مطرد [٣].

وقد طرح أحمد راغب، الباحث في أصوات القرآن الكريم، فكرة اختلاف الإيقاع الصوتي للقلقلة في القرآن المكي عنه في المدني، وأن القلقلة ملمح مكي في الأساس، ملتقطًا هذه الفكرة مما أشار إليه الدكتور نعيم اليافي في بحث عن الإيقاع في القرآن الكريم [٤].

أولا: دليل اختلاف القلقلة بين المكي والمدني:

حاول الباحث أحمد راغب التدليل على صحة فكرته حول القلقلة، عن طريق تحليل عينات نطقية من سورتي الأنفال والرعد [٥]، بصوت الشيخ محمود خليل الحصري، ومن ثم المقارنة بينهما، وقد خلص إلى عدد من النتائج يهمنا منها هذا الجدول:

(٣) انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن ١/١٨٧-١٩٢، والسيوطي، الإتقان في علوم القرآن ١/٣٦-٣٨

(٤) انظر: أحمد، أحمد راغب، فونولوجيا القرآن، دراسة لأحكام التجويد في ضوء علم اللغة الحديث، (رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة عين شمس ٢٠٠٤م) ص ١٦٨، وللدكتور نعيم اليافي عدة مقالات تتناول هذا الموضوع، منها: " قواعد تشكل النغم في موسيقى القرآن "، المنشور في مجلة التراث العربي، العدد (١٥)، أبريل ١٩٨٤م، ص ١٤٧-١٤٩، أشار فيه إلى أن السور المكية تتميز بإيقاع مقصود ومختلف عنه في السور المدنية، دون أن يتناول ظاهرة القلقلة تحديدا. وأعاد التأكيد على هذا المعنى في مقال آخر له بعنوان: "عودة إلى موسيقى القرآن"، في ذات المجلة العدد (٢٥)، أكتوبر ١٩٨٦م، ص ٦٢. وقد انتقده غير واحد لاستخدامه للفظ الموسيقى في القرآن في تلك المقالات.

(٥) بلغ عدد مواضع القلقلة عنده في سورة الأنفال ٤٣ موضعا، وهو ذات العدد المثبت هاهنا، ولكن فاته موضع قلقلة في الآية ٤٢ من السورة، في حين زاد عنده موضع في لفظ " ميثاق " الآية ٧٢، حيث وقف عليه القارئ وسط الآية، ولم أثبته لأنه ليس من شرطي في إحصاء القلقلة جمع مواضع السكون العارض نتيجة للوقف وسط الآيات. أما مواضع القلقلة في سورة الرعد فكانت عنده ٦٢ موضعا، في حين بلغ في الكتابة الصوتية التي اعتمدت عليها في الإحصاء ٥٨ موضعا فقط، وذلك لذات السبب السابق، وهو وقوف القارئ على قلقلة وسط الآية، وذلك في خمسة مواضع في الآيات ١، ٥، ٨، ١٤، ٣٤ في حين فاته موضع في الآية ٣٠.

السورة	نسبة القلقلة لعدد الآيات	نسبة القلقلة مع عدد الكلمات	نسبة القلقلة مع عدد الحروف	متوسط المدى الزمني
الأنفال	٥٧ %	٠,٠٣٢ %	٠,٠٠٤ %	١٩٥ م/ث
الرعد	١٤٤ %	٠,٠٦٦ %	٠,٠٠٩٤ %	١٧٢ م/ث

جدول رقم (١) تحليل نسب القلقلة في سورتي الأنفال والرعد

وانتهى من بحثه إلى أننا " يمكننا اعتبار صوت القلقلة صوتًا مكيًّا يتناسب مع الجو المكي العام الذي يعتمد على نوع من الموسيقى القرآنية التي تختلف نسبيًّا عن تلك الإيقاعات المنسوجة في السور المدنية "[٦]، كما انتهى إلى أننا نستطيع من خلال تأمل الإيقاع أو الموسيقى أن نعرف المكي من المدني، وأن نجزم بالوقوف عند نغم الآيات وإيقاعها أن نحدد مكية بعضها ومدنية البعض الآخر [٧].

إن مما لا شك فيه أن القرآن الكريم بلغ مبلغًا عظيمًا في أثره في النفس البشرية من كافة النواحي، ومنها الإيقاع الصوتي، والقلقلة من هذا المنظور وسيلة من وسائل التأثير في نفس المتلقي، بما تسكبه فيها من إحساس وتناسق، سواء في فواصل الآيات أو في درَجها، ومن ذلك ما يُلاحظ في القرآن الكريم من تعاقب القلقلة في أواخر آيات متتالية، وما يحدثه من إيقاع صوتي وتناغم في الفواصل القرآنية، ويبدو في بعض السياقات أن القلقلة مقصودة لذاتها حينما تتنوع أصوات القلقلة في آيات متتالية، في مثل الآية الرابعة من سورة (ص) وما بعدها، فنجد تتابعا في أواخر الآيات بين أصوات الباء والدال والقاف والطاء، لتنتهي تلك الآيات المتتابعة بصوت القلقلة، بصرف النظر عن نوع الصوت المقلقل. ولو لم يكن صوت القلقلة مستقلا ومؤثرًا ما ساغ مجيئه كفاصلة في خواتم الآيات، مع اختلاف الأصوات المقلقلة.

أما أن تكون القلقلة عاملا حاسمًا في التفريق بين القرآن المكي والمدني فأمر يحتاج إلى دلائل، وما ذكره أحمد راغب دليل غير كافٍ، وملاحظة في حاجة لإعادة نظر، حيث إن كلا من الأنفال والرعد من السور المدنية، والاعتماد على انخفاض النسب التي ذكرها لا تكفي دون تحليل القلقلة في سور مكية كذلك.

(٦) أحمد راغب، فونولوجيا القرآن ص ١٦٨
(٧) انظر بالتفصيل: أحمد راغب، فونولوجيا القرآن ص ١٤٣- ١٦٩

ثانيًا: إحصاءات القلقلة في القرآن الكريم ودلالاتها:

عرَض لي هذا الرأي السابق في أثناء دراستي للقلقلة في القرآن الكريم من الناحيتين الصوتية والمقطعية [٨]، ورأيت أنه رأي في حاجة لبحث وتحقيق. ولمَّا كنت قد جمعت بالفعل كل مواضع القلقلة في القرآن الكريم، فقد أعدتُ تصنيفها وإحصاءَها وفق المكي والمدني، بغية تحليلها لاستجلاء هذا الأمر.

بلغت مواضع القلقلة في القرآن الكريم كاملا (٣٨٣٧) موضعًا، وهذا العدد يحتوي على مواضع السكون الأصلي كاملة، إضافة إلى مواضع السكون العارض باعتبار الوقف على رءوس الآيات فقط؛ ولم أُدخل في حسابي مواضع قلقلة السكون العارض في وسط الآيات؛ وذلك لاختلاف ذلك من قارئ لآخر.

ونظرا لاختلاف المصادر في بعض مواضع المكي والمدني، فقد كان الاعتماد على المذكور في المصحف المطبوع بمطبعة (الشمرلي) بالقاهرة، والذي اعتمد في بيان المكي والمدني على كتاب أبي القاسم عمر بن محمد بن عبد الكافي (المتوفَّ ٤٠٠ هـ تقريبا)، المسمى بـ(بيان عدد سور القرآن وآياته وكلماته ومكيه ومدنيه)، وهو الكتاب الأساس الذي اعتمدته اللجنة التي أشرفت على طباعة مصحف المدينة النبوية كذلك في مسألة المكي والمدني. وقد اعتبرت المقياسَ الزمنيَّ في التمييز بين المكي والمدني، فما قبل الهجرة النبوية مكي وما بعدها مدني، واعتبار ما نزل في طريق الهجرة النبوية مكيا لا مدنيا.

وهذا جدول بتصنيف آيات القرآن الكريم إلى المكي والمدني، آية آية، وليس سورة سورة، حسب المنهج الذي أشرت إليه، وكانت نتيجته حسب إحصائي كما يلي :

	عدد الآيات	النسبة إلى كامل القرآن
المكي	٤٤٨٩	% ٧٢
المدني	١٧٤٧	% ٢٨
الإجمالي	٦٢٣٦	% ١٠٠

جدول رقم (٢) نسبة الآيات المكية والمدنية في القرآن الكريم

(٨) أحدهما بحث بعنوان (القلقلة في القرآن الكريم، دراسة صوتية)، نُشر بعد ذلك في مجلة اللّسان الدولية للدّراسات اللغوية والأدبية، كلية اللغات بجامعة المدينة العالمية بماليزيا، المجلد (٤) العدد (٩) ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م .والثاني بعنوان (البنية المقطعية للقلقلة في القرآن الكريم)، نشر في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد الثامن – السنة الثالثة (مايو - أغسطس) ٢٠٢٠م.

بعدها قمت بإحصاء لعدد أصوات القلقلة في كل من المكي والمدني، كل صوت على حدة، والجدول التالي فيه خلاصة لتلك الإحصاءات [٩]:

	ق	ط	ب	ج	د	المجموع
١ المكي	٣ ٣١	٩ ٨	٧ ٨٥	٤ ٤٩	٧ ٦٧	٢ ٤٣٠
١ لنسبة	٥ ٩,٥٪	٦ ٣,٦٪	٦ ٠,٦٪	٣ ٢,٧٪	٦ ٥,٨٪	٦ ٣,٣٪
١ لمدني	٢ ٢٥	٥ ٦	٥ ١٠	٢ ١٨	٣ ٩٨	١ ٤٠٧
١ لنسبة	٤ ٠,٥٪	٣ ٦,٤٪	٣ ٩,٤٪	٦ ٧,٣٪	٣ ٤,٢٪	٣ ٦,٧٪
١ لإجمالي	٥ ٥٦	١ ٥٤	١ ٢٩٥	٦ ٦٧	١ ١٦٥	٣ ٨٣٧

جدول رقم (٣) نسب تكرار أصوات القلقلة الخمسة في القرآن الكريم

من خلال النظر في تلك البيانات؛ يبدو للوهلة الأولى صحة فرضية أن القلقلة ملمح مكي في الأساس، فقد وردت أصوات القلقلة في الآيات المكية (٢٤٣٠) من إجمالي (٣٨٣٧) موضعا للقلقلة في القرآن الكريم كاملا، بنسبة بلغت (٦٣,٣ %) من إجمالي أصوات القلقلة في القرآن الكريم كاملا، في حين بلغت تكرارات أصوات القلقلة في الآيات المدنية (١٤٠٧) بنسبة (٣٦,٧ %) فقط [١٠].

ولكن هذا الانطباع الأولي لا يبدو قاطعًا إذا ما وضعنا ذلك إلى جوار إجمالي عدد الآيات المكية والمدنية، فإذا كانت آيات القرآن الكريم (٦٢٣٦) آية، فإن عدد الآيات المكية (٤٤٨٩) بنسبة (٧٢ %)

(٩) النسب المذكورة في الجدول هي نسب ورود كل صوت من أصوات القلقلة على حدة في المكي والمدني، مقارنة بإجمالي عدد ورود الصوت مقلقلا في القرآن الكريم، والنسبة في العمود الأخير هي نسبة ورود إجمالي الأصوات المقلقلة في كل من المكي والمدني، مقارنة بالعدد الإجمالي للأصوات المقلقلة في القرآن الكريم.

(١٠) لاحظ – حتى لا تلتبس الأرقام - أن هذا الإحصاء يقيس نسبة عدد أصوات القلقلة في كل من المكي والمدني إلى عدد أصوات القلقلة الإجمالي في القرآن.

من آيات القرآن، وعدد الآيات المدنية (١٧٤٧) آية بنسبة (٢٨ %) من آيات القرآن، وهو ما يعني أن القرآن المدني يحتوي على نسبة أكبر من تكرارات أصوات القلقلة.

ونظرًا لهذه المؤشرات والدلالات الإحصائية المتباينة إلى حد ما، فقد قمت بإحصاءات تفصيلية إضافية لآيات وأصوات القلقلة في كل من القرآن المكي والمدني. والجدول التالي يبين نسب عدد الآيات المقلقلة وغير المقلقلة في كل من المكي والمدني :

	عدد الآيات إجمالا	عدد الآيات المقلقلة	النسبة	عدد الآيات غير المقلقلة	النسبة
المكي	٤٤٨٩	١٧٩٠	٣٩,٩ %	٢٦٩٩	٦٠,١
المدني	١٧٤٧	٨٥٤	٤٨,٩ %	٨٩٣	٥١,١ %
المجموع	٦٢٣٦	٢٦٤٤	٤٢,٤ %	٣٥٩٢	٥٧,٦ %

جدول رقم (٤) نسب عدد الآيات المقلقلة وغير المقلقلة في كل من المكي والمدني

والجدول التالي يقيس نسبة أصوات القلقلة مقارنة بعدد الآيات المكية والمدنية إجمالا، ونسبة تلك الأصوات للآيات المكية والمدنية التي وردت فيها القلقلة، وكانت نتيجة الإحصاء ما يلي :

	عدد أصوات القلقلة	**النسبة مقارنة بعدد الآيات (مكي/ مدني)**	**النسبة مقارنة بعدد الآيات المقلقلة فقط**
المكي	٢٤٣٠	% ٥٤,١	% ١٣٥,٨
المدني	١٤٠٧	% ٨٠,٥	% ١٦٤,٨
المجموع	٣٨٣٧	–	–

جدول رقم (٥) نسبة أصوات القلقلة مقارنة بعدد الآيات المكية والمدنية المقلقلة وغير المقلقلة

وظاهر من الأرقام الواردة في الجدولين السابقين أن نسبة ورود آيات القلقلة في القرآن المدني أكبر من نسبته في القرآن المكي (٤٨,٩٪ مقابل ٣٩,٩٪)، والأمر أوضح في الجدول الثاني الخاص بإحصاء الأصوات، فنسبة ورود أصوات القلقلة في القرآن المدني أكبر من نسبة ورودها في القرآن المكي بفارق كبير (٨٠,٥٪ مقابل ٥٤,١٪)، وتفسير ذلك أن كثرة مواضع القلقلة في القرآن المكي إنما مردها في الأساس لكثرة الآيات المكية، فهل نستطيع بناء على ما سبق أن نقرر أن القلقلة ملمح بارز في القرآن المدني؟ خلافًا لما انتهى إليه الأستاذ راغب؟

الحقيقة أن الأمر ليس بهذا اليسر، فكل من يقرأ القرآن يجد أن هناك آيات كثيرة – مكية ومدنية – لا تحتوي على قلقلة من الأساس، ولعل من أبرز ما يتضح من الإحصاءات السابقة نسبة الآيات غير المقلقلة في كل من المكي والمدني، فالإحصاء يقرر أن عدد الآيات المكية التي لا تحتوي على أصوات مقلقلة (٢٦٩٩) آية، ونسبتها إلى إجمالي عدد الآيات المكية (٦٠,١ %)، وأن عدد الآيات المدنية التي لا تحتوي على قلقلة (٨٩٣) آية، بنسبة (٥١,١ %) من إجمالي الآيات المدنية في القرآن الكريم.

وإجمالا فإن عدد الآيات غير المقلقلة في القرآن الكريم يبلغ (٣٥٩٢) آية، بنسبة (٥٧,٦ %)، مما يعني أن أكثر من نصف آيات القرآن الكريم لا تحتوي على أصوات قلقلة من الأساس.

خلاصة تلك الأرقام تقول إن عدد أصوات القلقلة في القرآن المكي أكثر؛ نظرا لزيادة الآيات المكية في القرآن كثيرا عن الآيات المدنية، في حين أن نسبة ورود القلقلة في القرآن المدني أكبر، ولكن لا يمكننا أن نجزم بأن القلقلة تمثل في أيٍّ منهما ملمحا مميزا أو ظاهرة نستطيع من خلالها تمييز القرآن المكي عن القرآن المدني؛ لأن أكثر من نصف آيات القرآن لا تحتوي على قلقلة أصلا، وأكثر من نصف كل من الآيات المكية والمدنية على حدة تخلو من القلقلة كذلك. وهذه نتيجة كفيلة بإغلاق باب الاعتماد على القلقلة كملمح مميز للآيات المكية أو المدنية، بعبارة أخرى: لا نستطيع أن نجزم بمكية آية أو سورة أو مدنيتها من خلال نسبة ورود الأصوات المقلقلة فيها.

ثالثًا: تفسير اختلاف كثافة القلقلة بين الآيات:

أما ما يمكن أن يدخل في إطار البحث فهو محاولة تفسير ورود القلقلة بكثافة في بعض الآيات دون غيرها.

ولمعرفة دلالة ذلك فقد أحصيت تكرارات أصوات القلقلة في كل من المكي والمدني؛ لمعرفة نسبة ورودها مقارنة بعدد الآيات المقلقلة في كل منهما، وجاءت نتيجة الإحصاء كما يلي:

ت كرار أصوات القلقلة في الآية الواحدة	عد د الآيات في المكي	الن سبة للآيات المكية المقلقلة (١٧٩٠)	ع دد الآيات في المدني	الن سبة للآيات المدنية المقلقلة (٨٥٤)	مجم وع الآيات	الن سبة لإجمالي الآيات المقلقلة
١	١٣ ٠٠	٧٢ ٪٦٠.	٥ ٠٠	٥٨ ٪٥٠.	١٨ ٠٠	٦٨ %
٢	٣٧ ١	٢٠ % ٧٠.	٢ ٢٧	٢٦ ٪٦٠.	٥٩ ٨	٢٢ ٪٦٠.
٣	٩٣	٥٠ % ٢	٨ ٨	١٠ ٪٣٠.	١٧ ٨	٦٠ % ٨
٤	٢٢	١٠ % ٢	١ ٩	٢٠ %٢	٤١	١٠ % ٦
٥	٣	٠٠ % ٢	١ ١	١٠ %٣	١٤	٠٠ % ٥
٦	١	٠٠ % ٠٦	٦	٠٠ % ٧	٧	٠٠ % ٣
٧	٠	٠ %	٢	٠٠ % ٢	٢	٠٠ % ٠٨
٨	٠	٠ %	١	٠٠ % ١	١	٠٠ % ٠٤
م جموع آيات القلقلة	١٧ ٩٠		٨ ٥٤		٢٦ ٤٤	

جدول رقم (٦) تكرارات أصوات القلقلة في الآيات في كل من المكي والمدني

تشير الأرقام في الجدول السابق إلى أن الأصل في آيات القلقلة أن تشتمل الآية على صوت قلقلة واحد فقط، حدث هذا فيما نسبته (٦٨٪) من إجمالي الآيات المقلقلة في القرآن الكريم كاملا، وأن ذلك أوضح في القرآن المكي منه في المدني. فإذا ما نظرنا في تكرارات الأصوات من صوتَي قلقلة فأكثر في الآية الواحدة نلحظ أن كثافة ورود القلقلة في الآيات المدنية أكبر منها في الآيات المكية.

ولكن هذا لا ينقض النتيجة السابقة التي خرجنا بها من أن القلقلة لا تمثل ملمحًا للتفرقة بين المكي والمدني، فالفوارق في كثافة ورود القلقلة ليست مطردة وليست كبيرة بالقدر الكافي لتكون ملمحا مميزا لأي من المكي والمدني.

مما نستخرجه من الإحصاءات أيضا أن أكبر تكرار لأصوات القلقلة في الآيات المكية كان (٦) تكرارات، ورد هذا في الآية ١٢٥ من سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿ **فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ** ﴾، حيث تحتوي على ثلاثة جيمات وثلاثة دالات مقلقلة.

في حين كان أكبر تكرار لأصوات القلقلة في الآيات المدنية — وفي القرآن الكريم كاملا – ما ورد في الآية ١٩٦ من سورة البقرة ﴿ **وَأَتِمُّوا الحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الهَدْيِ وَلاَ تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِن الهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي المَسْجِدِ الحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ** ﴾، حيث تحتوي على خمسة دالات وثلاثة باءات مقلقلة.

ومردّ كثافة ورود القلقلة في بعض الآيات – من وجهة نظري – أنها قد تعود إلى أمور، منها :

- طول الآيات أو قصرها.
- الموضوع الذي تتناوله الآيات.

فإذا ما وضعنا هذين الافتراضين موضع الاختبار، وقلنا إن تلك الكثافة مردها إلى طول الآيات – المدنية خاصة مقارنة بالمكية – سنجد هذا الأمر ليس مطردًا كذلك ! فأطول آية في القرآن الكريم، وهي الآية رقم ٢٨٢ من سورة البقرة والمعروفة بآية الدَّين، آية مدنية تحتوي على سبعة أصوات مقلقلة، وهو عدد

لا يتناسب مع الطول الكبير للآية (١٢٩ كلمة)، قارن ذلك بالآية رقم ١٩٦ من سورة البقرة التي تكررت فيها القلقلة ثمان مرات، مع أن عدد كلماتها (٧٣) كلمة فقط [١١].

وآية مثل الآية ٢١٣ من سورة البقرة طويلة نسبيا (٤٩) كلمة، ولا تحتوي على أية أصوات مقلقلة. ومثلها الآيتان ١١، ١٢ من سورة النساء، فالأولى (٧١) كلمة والثانية (٨٨) كلمة، ولا تحتويان على أية أصوات مقلقلة.

كما أن القرآن المكي فيه آيات طوال كذلك، فمثلا الآية ٢٢ من سورة يونس تعتبر طويلة نسبيا (٦٨) كلمة، والآية ٣١ من سورة المدثر تعد من الآيات الطويلة (٥٧) كلمة، وذلك مقارنة بغالب الآيات المكية التي يغلب عليها القصر، ومع ذلك فهذه الآيات وغيرها لا تحتوي على أية أصوات مقلقلة.

والشواهد على هذا كثيرة في القرآن الكريم. لذا فإن استقراء الباحث لهذه المسألة يفيد بأن طول الآية يصعب التعويل عليه في تفسير كثافة ورود القلقلة في آيات دون غيرها، يستوي في ذلك القرآن المكي والمدني.

ولنأت إلى الافتراض الثاني، وهو أن كثافة ورود القلقلة في بعض الآيات قد تعود إلى طبيعة الموضوع الذي تعالجه الآيات، بصرف النظر عن كونها مكية أو مدنية. وللوقوف على ذلك راجعت كل الآيات التي وردت فيها القلقلة أربع مرات فأكثر، فكان تصنيفها في الآيات المكية كالتالي:

	الآية	تصنيفها	تكرار القلقلة	موضوعها
١.	سورة الأنعام ٥٢/٦	مكية	٤	وصية النبي بالمؤمنين
٢.	سورة الأنعام ١٠٣/٦	مكية	٤	صفات الله عز وجل
٣.	سورة الأعراف ٤٠/٧	مكية	٤	من مشاهد القيامة- تحريم الجنة على الكافرين

(١١) هذا وفق إحصاء برنامج (word)، وقد اعتمدت عليه في إحصاء عدد الكلمات هاهنا، وفي المواضع التالية كذلك.

	الآية	تصنيفها	تكرار القلقلة	موضوعها
٤.	سورة يونس ١٠/١٣	مكية	٤	إهلاك الظالمين من السنن الإلهية
٥.	سورة يونس ١٠/٩٣	مكية	٤	نعم الله على بني إسرائيل – اختلاف بني إسرائيل
٦.	سورة هود ١١/٦٢	مكية	٤	من قصص الأنبياء
٧.	سورة هود ١١/٨١	مكية	٤	من قصص الأنبياء
٨.	سورة يوسف ١٢/٧٧	مكية	٤	من قصص الأنبياء
٩.	سورة إبراهيم ١٤/٣٥	مكية	٤	من قصص الأنبياء – دعاء
١٠	سورة النحل ١٦/٣١	مكية	٤	نعيم الجنة
١١	سورة الإسراء ١٧/٢٩	مكية	٤	الأمر بالتوسط في الإنفاق
١٢	سورة طه ٢٠/١١٥	مكية	٤	من قصص الأنبياء

	الآية	تصنيفها	تكرار القلقلة	موضوعها
١٣	سورة المؤمنون ١٤/٢٣	مكية	٤	مراحل خلق الله للإنسان
١٤	سورة الروم ٤٨/٣٠	مكية	٤	إنزال الله الأمطار رحمة بعباده
١٥	سورة سبأ ٥٣/٣٤	مكية	٤	ضلال الكفار
١٦	سورة الزمر ٦٧/٣٩	مكية	٤	قدرة الله — من مشاهد القيامة
١٧	سورة غافر ٢٨/٤٠	مكية	٤	قصة مؤمن آل فرعون
١٨	سورة غافر ٣٤/٤٠	مكية	٤	قصة مؤمن آل فرعون
١٩	سورة غافر ٦٧/٤٠	مكية	٤	مراحل خلق الله للإنسان
٢٠	سورة غافر ٧٨/٤٠	مكية	٤	إرسال الله للرسل
٢١	سورة الشورى ١٣/٤٢	مكية	٤	دين الأنبياء واحد

	الآية	تصنيفها	تكرار القلقلة	موضوعها
٢٢	سورة الأحقاف ٢٦/٤٦	مكية	٤	جحود الكفار وتعطيل حواسهم
٢٣	سورة ق ١٦/٥٠	مكية	٥	إحاطة علم الله بدخائل النفوس
٢٤	سورة الإسراء ١١٠/١٧	مكية	٥	الدعاء بأسماء الله الحسنى
٢٥	سورة يوسف ١٠٠/١٢	مكية	٥	من قصص الأنبياء
٢٦	سورة الأنعام ١٢٥/٦	مكية	٦	مثل الهدى والضلالة

جدول رقم (٧) تصنيف آيات القلقلة في القرآن المكي

وكان تصنيف الموضوعات في الآيات المقلقلة المدنية كالتالي :

	الآية	تصنيفها	تكرار القلقلة	موضوعها
١.	سورة البقرة ١٢٥/٢	مدنية	٤	قصص الأنبياء – بناء المسجد الحرام

	الآية	تصنيفها	تكرار القلقلة	موضوعها
٢.	سورة البقرة ١٥٠/٢	مدنية	٤	عبادات – اتخاذ المسجد الحرام قبلة
٣.	سورة البقرة ١٨٧/٢	مدنية	٤	عبادات – توقيت الصوم وبعض أحكامه
٤.	سورة البقرة ٢١٤/٢	مدنية	٤	الصبر في الجهاد – تثبيت المؤمنين
٥.	سورة البقرة ٢٤٦/٢	مدنية	٤	قصص الأنبياء – الجهاد
٦.	سورة البقرة ٢٦٠/٢	مدنية	٤	قصص الأنبياء – قدرة الله
٧.	سورة النساء ٤٧/٤	مدنية	٤	محاورة أهل الكتاب
٨.	سورة المائدة ٩٥/٥	مدنية	٤	حكم الصيد في الحرم
٩.	سورة المائدة ١٠٦/٥	مدنية	٤	من أحكام الوصية
١٠.	سورة المائدة ١١٦/٥	مدنية	٤	من مشاهد القيامة – توحيد الله وتنزيهه

	الآية	تصنيفها	تكرار القلقلة	موضوعها
١١	سورة التوبة ٩/٥٠	مدنية	٤	من صفات المنافقين
١٢	سورة الرعد ١٣/٦	مدنية	٤	ظلم الناس لأنفسهم
١٣	سورة الرعد ١٣/٢٣	مدنية	٤	من مشاهد القيامة – دخول المؤمنين الجنة
١٤	سورة الحج ٢٢/٥	مدنية	٤	مراحل خلق الله للإنسان
١٥	سورة الممتحنة ٦٠/١	مدنية	٤	النهي عن موالاة أعداء الله
١٦	سورة الممتحنة ٦٠/٤	مدنية	٤	من قصص الأنبياء
١٧	سورة الطلاق ٦٥/١٩	مدنية	٤	من أحكام الطلاق
١٨	سورة الفتح ٤٨/١٦	مدنية	٤	حث الأعراب على الجهاد
١٩	سورة الفتح ٤٨/٢٥	مدنية	٤	الحث على جهاد المشركين – حكمة الله

	الآية	تصنيفها	تكرار القلقلة	موضوعها
٢٠	سورة الرعد ٢٢/١٣	مدنية	٥	من صفات المؤمنين
٢١	سورة محمد ٣٨/٤٧	مدنية	٥	الإنفاق في سبيل الله
٢٢	سورة البقرة ٨٧/٢	مدنية	٥	إجرام بني إسرائيل في حق الأنبياء
٢٣	سورة الحجرات ٩/٤٩	مدنية	٥	الإصلاح بين المؤمنين
٢٤	سورة الحج ٧٣/٢٢	مدنية	٥	عظيم قدرة الله وضعف الإنسان
٢٥	سورة المائدة ١٢/٥	مدنية	٥	عهد الله مع بني إسرائيل
٢٦	سورة النساء ١٠٠/٤	مدنية	٥	الهجرة في سبيل الله
٢٧	سورة آل عمران ١٤٤/٣	مدنية	٥	الثبات على ما جاء به الرسول
٢٨	سورة آل عمران ٦٠/٣	مدنية	٥	مباهلة أهل الكتاب

	الآية	تصنيفها	تكرار القلقلة	موضوعها
٢٩	سورة البقرة ٢/٢٥٣	مدنية	٥	رفع الرسل درجات – اختلاف الذين أوتوا الكتاب
٣٠	سورة الحديد ٥٧/٢٧	مدنية	٥	تعامل النصارى مع الرهبانية
٣١	سورة الإسراء ١٧/٨٠	مدنية	٦	دعاء
٣٢	سورة البقرة ٢/٢٣٧	مدنية	٦	من أحكام الطلاق
٣٣	سورة البقرة ٢/١٤٤	مدنية	٦	تحويل القبلة للمسجد الحرام
٣٤	سورة البقرة ٢/٦١	مدنية	٦	من قصص الأنبياء (بنو إسرائيل مع موسى)
٣٥	سورة المائدة ٥/٢	مدنية	٦	تعظيم حرم الله والشعائر المرتبطة به
٣٦	سورة المزمل ٧٣/٢٠	مدنية[١٢]	٦	قيام الليل – قراءة القرآن

(١٢) سورة المزمل مكية إلا ثلاث آيات ١٠، ١١، ٢٠

	الآية	تصنيفها	تكرار القلقلة	موضوعها
٣٧.	سورة البقرة ٢/٢٨٢	مدنية	٧	آية الدَّين وأحكام الاستدانة
٣٨.	سورة النور ٢٤/٣٠	مدنية	٧	غض البصر وحفظ الفرج وأحكام إظهار الزينة
٣٩.	سورة البقرة ٢/١٩٦	مدنية	٨	من أحكام الحج

جدول رقم (٨) تصنيف آيات القلقلة في القرآن المدني

وبالنظر في تلك الموضوعات نجد أن هناك موضوعات مشتركة بين المكي والمدني وردت فيها القلقلة بكثافة، وذلك مثل: قصص الأنبياء، ومشاهد القيامة، ومراحل خلق الإنسان.

في حين تميزت الآيات المكية بزيادة ورود القلقلة في موضوعات الدعوة للإيمان، والنظر في الكون، والحديث عن أسماء الله وصفاته، وانفردت الآيات المدنية بالآيات التي تحتوي على العبادات والأحكام الشرعية المختلفة، وموضوعات الجهاد، ومحاورات أهل الكتاب، وهي من الموضوعات الخاصة بالقرآن المدني والدالة عليه كما هو معلوم، ولا علاقة لها بالقلقلة من قريب أو بعيد.

لذا لا نستطيع أن نعزو سبب ورود أصوات القلقلة بكثافة إلى موضوعات بعينها في كل من القرآن المكي والمدني، ولن يغير من ذلك طبيعة الموضوعات التي وردت فيها القلقلة بصوت أو صوتين، فالحديث هاهنا ليس عن ورود القلقلة، وإنما عن كثافة ورودها.

وبناء على هذا، يرجح الباحث أن ورود أصوات القلقلة أو عدم ورودها في القرآن الكريم ليس له علاقة مباشرة بالمكي أو المدني، وإنما علاقته — على ما يبدو – بالجو العام للسورة القرآنية، وهو ما تشير إليه هذه الدراسة على الأقل، وهو افتراض يحتاج إلى دراسة أثر القلقلة الإيقاعي في الجو العام لكل سورة على حدة، سواء أكانت القلقلة في أواخر الآيات أو في درَجها، ولا يصلح معها حكم عام في القرآن

الكريم كاملاً. وسيظل باب البحث مفتوحا للنظر والتعمق فيما يحويه القرآن من مظاهر لغوية على اختلافها، فهو معين لا ينضب، وبحر لا ساحل له !

المراجع

أحمد، أحمد راغب، فونولوجيا القرآن، دراسة لأحكام التجويد في ضوء علم اللغة الحديث، (رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة عين شمس ٢٠٠٤م).

الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق مكتب البحوث والدراسات (بيروت، دار الفكر، ط١، ١٩٩٦م).

الزركشي، محمد بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت، دار المعرفة، ١٣٩١هـ).

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق مركز الدراسات القرآنية (المدينة المنورة، مجمع الملك فهد، ط١، ١٤٢٦هـ).

اليافي، نعيم، عودة إلى موسيقى القرآن (دمشق، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتّاب العرب، السنة (٧) العدد (٢٥) أكتوبر ١٩٨٦م).

اليافي، نعيم، قواعد تشكل النغم في موسيقى القرآن (دمشق، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتّاب العرب، السنة (٤) العدد (١٥) أبريل ١٩٨٤م).